مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIANNUAL REFEREED JOURNAL
KULLIYYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

e-ISSN: 2600-8394 **VOL. 3 No. 1** **March (1440-2019)**

المنهج الإبداعي في التفسير البياني: بنت الشاطئ أنموذجًا

Creative Approach in Linguistic Interpretation: Bint Al-Shati' as a case of study

رضوان جمال الأطرش[1] لقمان الحكيم[2] حسام موسى محمد شوشه[3]

Hossam moussa mohamed Shousha Lukmanul hakim Radwan Jamal Elatrash

ملخّص

تهدف هذه المقالة إلى دراسة منهج بنت الشاطئ في تفسيرها، وبيان خطتها ومناقشتها من خلال كتابها *التفسير البياني للقرآن الكريم*. وهذه المقالة تعتمد على المنهج الاستقرائي؛ وذلك لاستقراء الآيات واطلاع البيانات المتعلقة ببنت الشاطئ من خلال تفسيرها. واستخدم الباحثان أيضًا المنهج التحليلي؛ وذلك لمناقشة المعلومات الواردة في هذه القضية، واستنباط منهج بنت الشاطئ في تفسيرها. ومن أهمّ النتائج التي توصل إليها الباحثان أن بنت الشاطئ قد حاولت تفسير القرآن الكريم متبعة أربعة مناهج وهي؛ التناول الموضوعي، وفهم ما حول النص، وفهم دلالات الألفاظ، وفهم أسرار التعبير. وهذا بلا شك منهج إبداعي قلَّ نظيره.

الكلمات المفتاحية: المنهج، الإبداعي، بنت الشاطئ، القرآن، التفسير.

Abstract

The present paper aims to study Bint al-Shati's interpretation approach, explains and discusses her plan through her book *At-Tafsīr al-Bayānī Li al-Qur'ān al-Karīm*. The paper adopts the inductive approach, so as to extrapolate verses and find out about Bint al-Shāti's interpretation. Also, the analytical approach is employed, so as to discuss information contained in the subject matter, and devise Bint al-Shati's interpretation. The result shows that Bint al-Shati' attempted to interpret the Qur'an based on four approaches, addressing the text objectively, understanding the meanings of the text words, comprehension of semantics, and grasping linguistic nuances. Undoubtedly, this is a groundbreaking approach.

Key word: Methodology, Creative, Bint Shāti`, Al-Qurān, Tafsīr.

[1] **أستاذ مشارك في قسم دراسات القرآن والسنة**، في كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا.

[2] **طالب دكتوراه في قسم دراسات القرآن والسنة**، في كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا.

[3] **طالب دكتوراه في قسم دراسات القرآن والسنة**، في كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا.

مقدمة

نشأت دراسات كثيرة متنوعة حول القرآن الكريم، منها ما تعلق بالعلم ومنها ما تعلق بالفقه والسياسة ومنها ما تعلق بالقانون والتشريع ومنها ما تعلق باللغة والبديع والبيان، ولذا فإن محاولة تفسير القرآن الكريم على حسب الحاجة لا تتوقف أبدًا، لذا ظهرت مؤلفات مختلفة التوجه في التفسير، طريقةً ومنهجًا.

ومن الذي درسوا القرآن بيانياً بنت الشاطئ، وهي مفكرة وكاتبة مصرية، وأستاذة جامعية وباحثة، وهي بحق أول امرأة حاضرت بالأزهر الشريف، ونالت جائزة الملك فيصل في الآداب والدراسات الإسلامية. وقد حاولت بنت الشاطئ تفسير القرآن الكريم متبعة أربعة مناهج؛ التناول الموضوعي، وفهم ما حول النص، وفهم دلالات الألفاظ، وفهم أسرار التعبير[4].

ومهما يكن من أمر، فإن هذه المقالة تتناول شخصية الكاتبة بنت الشاطئ والتي تعتبر من أشهر الشخصيات الأدبية المعاصرة وذلك لما لهذه الشخصية من خدمات بارعة، ومكانة عالية وأثر كبير في عالم الأدب والبلاغة والبيان والتأليف، وذلك على مستوى العالم العربي كله. وهذه المقالة كذلك تقدم دراسة علمية حول كتابها التفسير البياني للقرآن الكريم وما له من ميزات وإيجابيات في نشأة منهج التفسير البياني المعاصر. وقد قسمنا هذه المقالة إلى عدة عناوين وذلك على الشكل الآتي:

ترجمة بنت الشاطئ والتعريف بالتفسير البياني

1- دراسة لشخصيتها ومكانتها العلمية

عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (1913-1998م)، وهي مفكرة وكاتبة مصرية، وأستاذة جامعية وباحثة، وهي من النساء اللواتي حاضرن بالأزهر الشريف، ونلن جائزة الملك فيصل في الآداب والدراسات الإسلامية[5].

وكانت عائشة عبد الرحمن تحب أن تكتب مقالاتها باسم مستعار، فاختارت لقب بنت الشاطئ لأنه كان ينتمي إلى حياتها الأولى على شواطئ دمياط والتي ولدت بها، وقد كان من كتابتها ومقالاتها باسم

[4] بنت الشاطئ، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، (القاهرة: دار المعارف، د.ط، 1962م)، ج1، ص10.

[5] انظر: http://ar.wikipedia.org/wiki/عائشة_عبد_الرحمن.

مستعار حتى توثق العلاقة بين القراء وبين مقالاتها والتي كانت تكتبها في جريدة الأهرام[6]، وخوفًا من إثارة حفيظة والدها المحافظ ولذا كانت توقع باسم بنت الشاطئ أي شاطئ دمياط الذي عشقته في طفولتها[7].

ولدت في مدينة دمياط بشمال دلتا مصر في منتصف نوفمبر عام (1912م) وكان والدها مدرِّسًا بالمعهد الديني بدمياط، وَجدُّها لأمها كان شيخًا بالأزهر الشريف، وقد تلقت تعليمها الأول في كُتَّاب القرية فحفظت القرآن الكريم، ثم أرادت الالتحاق بالمدرسة عندما كانت في السابعة من العمر، ولكن والدها رفض ذلك فتقاليد الأسرة تأبى خروج البنات من المنزل والذهاب إلى المدرسة، فتلقت تعليمها بالمنزل وقد بدأ بظهور تفوقها ونبوغها في تلك المرحلة عندما كانت تتقدم للامتحان فتتفوق على قريناتها بالرغم من أنها كانت تدرس بالمنزل[8].

وهذا، فقد توفر لبنت الشاطئ هذه البيئة الملائمة لتلقي مزيدًا من العلم، ولا شك أن الفضل لله أولًا ثم لأبيها الذي أحسن تربيتها وتعليمها وجعلها محبة للعمل في مجال الدين والعلم، أنه كان سعة للأب مكتبة كبيرة ساعدت بنت الشاطئ على تنوع ثقافتها الدينية وقراءتها الكثيرة التي كانت فيما بعد لها أثر كبير في هذا الإنتاج الرائع والكثير.

ولقد توفيت بنت الشاطئ عن عمر يناهز 86 بسكتة قلبية في يوم الثلاثاء 11 شعبان 1419هـ الموافق أول ديسمبر 1998م[9].

وعلى الرغم من أنه لم يكن تعليم الفتاة متاحًا في ذلك الوقت، وقليلات هن الفتيات اللواتي استطعن اللحاق بركب التعليم إلا أن بنت الشاطئ كانت واحدة من المحظوظات، واستطاعت الالتحاق بمدرسة اللوزي الأميرية للبنات وذلك بمساعدة جدها لأمها الشيخ إبراهيم الدمهوجي، ومن هنا بدأت مرحلة أخرى من مراحل حياة الكاتبة بنت الشاطئ حيث أخذت تتخطي مراحل التعليم مرحله تلو الأخرى تنهل

[6] المرجع نفسه.

[7] المرجع نفسه.

[8] انظر: http://www.syrianstory.com/b.alchty.htm# عائشة عبد الرحمن.

[9] انظر: http://www.angelfire.com/ok3/nesa/shati.

من عباب هذا البحر الكبير، حتى حصلت على شهادة الكفاءة للمعلمات عام (1929م) وذلك بترتيبها الأولى على القطر المصري. ومن ثم حصلت على الشهادة الثانوية عام (1931م). ولم تتوقف مسيرتها التعليمية عند هذا الحد بل التحقت بجامعة عين شمس وتخرجت من كلية الآداب قسم اللغة العربية، تلا ذلك حصولها على شهادة الماجستير بمرتبة الشرف الأولى عام (1941م) وفي خلال فترة دراستها الجامعية تزوجت بنت الشاطئ من أحد فُحول الفكر والثقافة في مصر آن ذاك ألا وهو الأستاذ الجامعي أمين الخولي، وقد أنجبت منه ثلاثة أبناء، ولم تشغلها مسؤولياتها الجديدة كزوجة وأم عن طلب العلم، ففي عام (1950م) حصلت على شهادة الدكتوراة في النصوص بتقدير ممتاز، وقد نوقشت هذه الرسالة من قبل عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين[10].

ولقد توفر لبنت الشاطئ شيوخ كبار كان لهم دور كبير في نبوغها وتفوقها وتأصيل محبتها للعلم والتعمق فيه والرغبة في الاستزادة منه وبينوا لها كيفية السير في هذا الطريق الذي يحتاج إلى صبر وجهد كبير ومحبة ورغبة كبيرة في العلم والمعرفة. فاستفادت بنت الشاطئ بفضل ما لقيت من تشجيع وعون من هؤلاء العلماء ما جعلها تمضى بكل عزم وقوة وتصميم على خوض هذا المجال الفسيح مما كان له الأثر الفعال في توجيه همتها إلى عدم الوقوف عند حد معين من البحث والدرس بل أرادت بكل مالديها من قوة وعزيمة وحب ورغبة أن تقضى الليل والنهار في البحث العلمي الذين مَلَك عليها حياتها.

ومن هؤلاء الأساتذة المشهورين؛ الشيخ إبراهيم الدمهوجي، الشيخ على عبد الرحمن، والدكتور طه حسين، والدكتور أمين الخولي، والأستاذ مصطفى صادق الرافعي[11].

وكانت بنت الشاطئ أنموذجًا للمرأة المسلمة التي حررت نفسها بنفسها بالإسلام، فمن طفلة صغيرة على شاطئ النيل في دمياط إلى أستاذ للتفسير والدراسات العليا في كلية الشريعة بجامعة القرويين في المغرب، وأستاذ كرسي اللغة العربية وآدابها في جامعة عين شمس بمصر، وأستاذ زائر لجامعات أم درمان والخرطوم

[10] انظر: http://islamstory.com/ar/عائشة_عبد_الرحمن_بنت_الشاطئ.

[11] انظر: بنت الشاطئ، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ج1، ص14.

(1967م)، والجزائر (1968م)، وبيروت (1972م)، وجامعة الإمارات (1981م) وكلية التربية للبنات في الرياض (1975- 1983م)[12].

وكان لها مواقف فكرية مشرفة، واتخذت مواقف حاسمة دفاعًا عن الإسلام، فخلّفت وراءها سجلًا مشرفًا من السجلات الفكرية التي خاضتها بقوة، وكان أبرزها موقفها ضد التفسير العصري للقرآن الكريم ذودًا عن التراث[13]، ودعمها لتعليم المرأة واحترامها بمنطق إسلامي وحجة فقهية أصولية دون طنطنة نسوية، وموقفها الشهير من البهائية وكتابتها عن علاقة البهائية بالصهيونية العالمية[14].

وبنت الشاطئ مفكرة ومؤلفة مصرية، صنفت عدداً كبيراً من الكتب والمقالات، والتي تحوي أفكاراً متنوعة في اللغة والأدب[15]، والتاريخ[16]، وعلوم القرآن[17]، والسيرة الذاتية[18].

2- لمحة عن الكتاب وخطته وأغراضه

يتكون هذا الكتاب من جزأين متوسطي الحجم، يقع كل منهما فيما يقارب المائتين صفحة. وهذان الجزءان على صغر حجمهما إلا أنهما يحتويان على علم غزير وفوائد شتى.

أما الجزأ الأول فقد تم الحديث فيه عن تفسير هذه السور القصيرة المكية التي تعالج قضية العقيدة. وهذه السور السبع هي: سورة الضحى، والشرح، والزلزلة، والعاديات، والنازعات، والبلد، والتكاثر[19]. وأما

[12] المصدر نفسه، ص9.

[13] المرجع نفسه.

[14] المرجع نفسه.

[15] منها: قراءة في وثائق البهائية، دار السلام في حياة أبي الأعلى، أرض المعجزات، رحلة في جزيرة العرب، لغتنا والحياة، الحياة الإنسانية عند أبي الأعلى، القيم الجديدة للأدب العرب القديم والمعاصر، الغفران لأبي العلاء المعرى.

[16] منها: أم النبي، سكينة بنت الحسين، الخنساء، نساء النبي، بنات النبي، بطلة كربلاء، مع المصطفى، بين العقيدة والاختيار، المفهوم الإسلامي لتحرير المرأة، مع المصطفى في عصر المبعث، أبو العلاء المعرى، الأبعاد التاريخية والفكرية لمعركتنا، تراثنا بين الماض والحاضر.

[17] منها: القرآن وقضايا الإنسان، القرآن والتفسير العصري، كتابنا الأكبر، مقال في الإنسان، الشخصية الإسلامية، من أسرار العربية في البيان القرآني، التفسير البياني للقرآن الكريم، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل بن الأزرق، الإسرائليات في الغزو الفكرى.

[18] منها: سيرة الشاطئ والقصص من القرية، على الجسر بين الحياة والموت، صور من حياتهن في جيل الطليعة من الحريم إلى الجامعة.

[19] انظر: بنت الشاطئ، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ج1، ص10.

الجزأ الثاني فتحدث فيه عن تفسير هذه السور القصيرة المكية أيضًا التي تعالج قضية العقيدة. وهذه السور السبع هي: سورة العلق، والقلم، والعصر، والليل، والفجر، والهمزة، والماعون.

وقد ظهر لنا من خلال هذين الجزأين شخصية هذه الباحثة الكبيرة ومنهجها المستحدث في طريقة تفسير القرآن الكريم، حيث راعت فيه وحدة الموضوع وإصابة الهدف وبيان لطريقتها الجديدة التي لم تسبق إليها.

قد اشتغلت بنت الشاطئ بتعلم اللغة العربية وآدابها منذ صغرها حتى تبحرت وتعمقت وتعلقت باهتمام الأدباء عند حديثهم عن الأدب العربي حيث ترى أن كل جهدهم منصرف إلى الاهتمام بالمعلقات السبع وشعر النقائض والمفضليات ومشهور الخمريات والحمسيات والمراثي والمدائح والغزليات ومأثور الرسائل والأمالي والمقامات، وقد شغلت هذه الأشياء أصحابها عن الاهتمام بهذا الكتاب الخالد العالي المقام الذي فاق كل ما ذكرنا ولم يتعرض له أحد من الذين اشتغلوا بدراسة الأدب. لذلك رأت هذه الباحثة الكبيرة أن في إغفال الباحثين لمثل هذه الدراسات حول القرآن الكريم بعيد عن الصواب. ورأت أن تعكف بنفسها على الدراسة لبيان بعض أسرار هذا الكتاب وبعض أسراره البيانية التي تأخذ بالألباب وتسحر العقول. وجعلت طريقها على مدى سنوات عمرها أن البحث في هذا الكتاب الخالد الذي ملك عليها عقلها فاستغنت به عن كل ماعداه ومن فرط اشتغالها بهذه الدراسة أخرجت لنا هذه الكنوز التي فتح الله ﷻ لها من الأسرار والحكم مما لم يهتد إليها غيرها قبل ذلك.

منهج بنت الشاطئ في التفسير البياني

أما منهجها المتبع فقد تحدثت عنه فقالت: "نظرت إلى مناهج المفسرين في تفسيرهم للقرآن الكريم، فوجدت أنه يدور حول النظام التقليدي الأثري في التفسير بحيث لا يتجاوز فهم النص القرآني على نحو ما كان يفعل المفسرون من قديم"[20]. وقد فتح لها أستاذنا بابًا كبيرًا وطريقًا واسعًا لم يكن معروفًا من قبل، فاجتهدت في هذا الطريق وأكملته وزادت عليه فنشأ عن ذلك هذ الإنتاج الأدبي الخصب لها والذي ظهر في هذه

[20] انظر: بنت الشاطئ، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ج1، ص13.

الكتب في الدراسات القرآنية. وقد تأثرت هذه بنت الشاطئ بشيخها وأستاذها أمين الخولي فخرج بهذا النهج الجديد عن ذلك النمط التقليدي، وتناوله نصًا لغويًا بيانيًا على منهج أصله، وتلقاه عنه تلاميذته وهي منهم[21].

وأما لها عن تطبيق هذا المنهج تطبيقيًا ناجحًا فقد اتجهت في تفسيرها لبعض السور القصار والتي لاحظت فيها عند تفسيرها لها وحدة الموضوع وأن أكثرها من السورة المكية حيث العناية بالأصول الكبرى للدعوة الإسلامية. وقصدت بهذا الاتجاه توضيح الفرق بين الطريقة المعهودة في التفسير على يد المفسرين الأقدمين، ومنهجها الجديد وهو المنهج الاستقرائي الذي يتناول النص القرآني في وجوهه الإعجازية، ويقدر حرمة كلماته بأدق ما عرفت مناهج النصوص من ضوابط، ويلتزم دائمًا بالقول: "القرآن الكريم يفسر بعضه بعضًا"[22]. وقد قالها المفسرون ثم لم يبلغوا منها مبلغًا وحرروا مفهومه من العناصر الدخيلة والشوائب المقحمة على أصالته البيانية.

وقد رأى المتخصصون في الدراسة القرآنية البيانية والفقهية مدى حاجتنا إلى فهم نصه قبل أي شيء آخر. وقد بهرهم بلا ريب، ما بهر الباحثة بنت الشاطئ من أسراره البيانية، هدى إليها الدرس المنهجي الاستقرائي والتدبر المرهف: في اللفظ حيث لا يقوم مقامه سواه، وفي الحرف لا يؤدي معناه حرف آخر، وفي الحركة أو النبرة تأخذ مكانها في النظم الباهر. وقد مرَّ هذا المنهج بأربعة مراحل:

المرحلة الأولى: التناول الموضوعي

بداية تقوم بنت الشاطئ بِجمعِ كل ما في الكتاب المحكم من سور وآيات في الموضوع المدروس؛ كما أنها تبحث عن الموضوع فتأتي على مواضع ذكره في جملة القرآن الكريم، وتسرد الآيات التي ذكر فيها ذلك الموضوع، ثم تلتفت إلى ذكر معاني اللفظ في كل موضع لبيان المراد منه. وتذكر أقوال العلماء في تفسير هذا المعنى وتبيّن اختلافهم حول هذا المعنى ثم تعلق على هذه الاختلافات لهؤلاء المفسرين ثم تبيّن فهمها الخاص لإيحاء هذا اللفظ.

[21] المصدر نفسه.

[22] انظر: بنت الشاطئ، **المصدر السابق**، ص18.

ونأخذ سورة الضحى على سبيل المثال: ﴿**وَالضُّحَى • وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى • مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى • وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى • وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى • أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى • وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى • وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى • فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ • وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ • وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾ [العلق: 1-5].

تورد في تفسيرها أقوال المفسرين في الضحى؛ ثم تذكر ما اختاره الإمام الطبري حول معنى الضحى: وقالت إنه فقد النهار، لأنه ضوء الشمس الظاهرة[23]. ثم تأتي ما قاله سيد البلاغة الإمام الزمخشري يقول في الضحى: هو صدر النهار حين ترفع الشمس وتلقى شعاعها، وقيل أريد بالضحى النهار[24]. ثم تذكر أقوال بعض المعاصرين مثل الشيخ محمد عبده وتبيّن رأيه في الضحى؛ فتقول: هو ضوء الشمس في شباب النهار[25].

ثم تنظر في هذا الاختلاف للمفسرين في معنى الضحى وتحصره في أضيق نطاق. أهو النهار كله، أم ساعة منه؟ ثم تورد رأيها من خلال فهمها هي للغة، فتأتي إلى بيان ما يحتمله اللفظ من خلال اللغة، فتقول إنه يحتمل أكثر من معنى ولكن البلاغة لا تجيز إلا معنى واحدًا في المقام الواحد، يقوم به لفظ بعينه، لايقوم به سواه[26].

واللغة قد عرفت الضحى وقتًا بعينه من النهار، وبه سميت صلاة الضحى لوقوعها فيه، والضاحية من الإبل التي تشرب ضحى، وقالوا: ضحى فلان غنمه إذا رعاها الضحى، وضحى بالشاة ذبحها ضحى

---

[23] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة: مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 1422هـ/2001م)، ج25، ص481.

[24] محمود بن عمر الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، (الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 1418هـ/1998م)، ج6، ص390.

[25] محمد عبده، **تفسير جزء عم**، (مصر: شركة همزة مصرية، ط3، 1341هـ)، ص 108.

[26] انظر: بنت الشاطئ، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ج1، ص29.

يوم النحر. وهذا هو أصل الاستعمال فيما ذكر لسان العرب. وقال يعقوب في الأضحى: يسمى اليوم أضحى بجمع الأضحاة وهي الشاة تذبح ضحى النحر، وهي أيضًا الأضحية والضحية[27].

ودلالة الوضوح هي الملحوظة في كل الاستعمالات الحسية للمادة: فالضاحية السماء، ومنه قيل لما ظهر وبدا ضاحية. والمضحاة الأرض التي لاتكاد تغيب الشمس عنها، وضحا الطريق: بدا وظهر. وقالوا لمن يبرز للشمس: ضحا ضحوا وضحوا وضحيا، كما قالوا لمن ضربته الشمس ضحا كذلك. والضحياء الفرس الشهباء[28].

ومن هذا الوضوح والظهور الملحوظين في الاستعمالات الحسية للمادة، قيل: فعل فلان كذا ضاحية، أي علانية. على أن أكثر ما يستعمل الضحى في الوقت المعين من صدر النهار، فويق ارتفاع النهار، حين يتم وضوح الشمس. ومنها ما يستعمل في كل ما وقع أو فعل في هذا الوقت بعينه، فيقال: أضحى فلان إذا صار في الضحى، وأتيتك ضحوة، وضحى[29].

ثم تورد الآيات التي تتحدث عن هذا اللفظ؛ وكيف جرى استخدامه في القرآن الكريم، فتقول نرى القرآن الكريم استعمل الضحى مقابلاً للعشية. ﴿**كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا**﴾ [النازعات:46]. ومعها ﴿**أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا، رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا، وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا**﴾ [النازعات:26-28]. كما تم استعماله ظرف زمان، لهذا الوقت بعينه من النهار. ﴿**أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ**﴾ [الأعراف:98]. ثم ﴿**قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى**﴾ [طه:58].

فنراه هنا عين للموعد يومًا هو يوم الزينة، ثم خص وقتًا منه بالتحديد، هو ضحى، مما يبعد تفسير الضحى بأنه النهار كله[30]. هذا هو منهجها الرائع في الوصول إلى كبد حقيقة المعنى: فهي ذهبت إلى ما

[27] المصدر نفسه.

[28] انظر: بنت الشاطئ، **المصدر السابق**، ص30.

[29] المصدر نفسه.

[30] انظر: بنت الشاطئ، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ص31.

قاله الإمام الطبري بشكل عام ثم ذهبت إلى ما قاله الزمخشري ثم ذهبت إلى ما توصلت إليه فُهُوم المعاصرين المبدعين محمد عبده ثم رجعت إلى القرآن لتنظر كيف تم استعمال ذلك المصطلح في الخطاب القرآني ورجعت إلى المعاجم اللغوية ثم استخلصت المعنى الذي رأته يصب في كبد الحقيقة لذلك المفهوم. وهذا بلا شك منهج إبداعي قلَّ نظيره.

المرحلة الثانية: الفهم السياقي للنص

ترتب الآيات فيه على حسب نزولها لمعرفة ظروف الزمان والمكان، كما تستأنس بالمرويات في أسباب النزول من حيث هي قرائن لابست نزول الآية، دون أن يفوتنا ما تكون العبرة فيه بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه الآية. وأن السبب فيها ليس بمعنى الحكمية أو العلية التي لولاها ما نزلت الآية، والخلاف في أسباب النزول ترجع غالبًا إلى أن الذين عاصروا نزول الآية أو السورة، ربطها كل منهم بما فهم أو بما توهم أنه السبب في نزولها[31].

ونأخذ سورة الزلزلة على سبيل المثال: ﴿**إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا • وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا • وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا • يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا • بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا • يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ • فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ • وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ [الزلزلة:1-8].

هذه السورة تتكلم عن وصف اليوم الآخر. وهي مدنية مبكرة، سادسة السور المدنية على المشهور في ترتيب النزول. وثمة قول بأنها مكية، عن مجاهد وابن عباس، وعن الضحاك وعطاء[32]. ومعروف أن عناية القرآن الكريم اتجهت في العهد المكي إلى تقدير أصول الدعوة وفي العهد المدني إلى التشريع وبيان الأحكام. ولا يعني هذا أن تخلو السور المكية من أحكام التشريع، ولا أن تخلو السور المدنية من أصول عامة للعقيدة، مثل سورة الزلزلة التي نستأنس لها بنظائرها من السور المكية في اليوم الآخر، مثل سور:

[31] المصدر نفسه، ص10.

[32] أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ/1993م)، ج8، ص496.

الذاريات، التكوير، الانفطار، الانشقاق، الغاشية، القارعة، التكاثر، العاديات، الفجر، النازعات، النبأ، المرسلات، القيامة، المعارج، الحاقة، الواقعة.

ومن الإشارات البيانية العامة في هذه السور؛ أن آياتها قصار، وهذا القصر ملحوظ فيه القوة والجزم، بما يلقى في نفس السامع من جدية الموقف الحاسم وحطره، بحيث لا يحتمل الإطالة والتأني. وفيها مع ذلك، ظاهرة التكرار. والتكرار مألوف في مواقف الإطناب والإطالة، لكنه حين يأتي في مواقف الإيجاز الحاسمة، يكون لافتًا ومثيرًا، ففي سورة الزلزلة، على إيجازها وقصر آياتها، نجد التكرار في ثمانية مواضع. وهذه ظاهرة أسلوبية في القرآن الكريم، يعمد فيها إلى التكرار مع الإيجاز والقصر، ترسيخًا وتقريرًا وإقناعًا. والدراسة النفسية قد انتهت بعد طول التجارب، إلى أن مثل هذه الأسلوب هو أقوى أساليب الترسيخ والإقناع، وأشدها إيجاء بالحسم والجد[33]. هنا منهج جديد يختلف تمامًا عما فعلته في سورة الضحى، وهذا هو الإبداعي المنهجي حيث رتبت الآيات على حسب ترتيب نزولها ثم استأنست بالمرويات الحاضرة في أسباب النزول مركزة على أن العبر بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ثم ذكرت قضية نزول السورة في مكة أم في المدينة، لأن ذلك لها أبعاد ودلالات مهمة في فهم معاني السورة ومقاصدها. ثم جاءت بالصور البيانية العامة مركزة على التكرار الدال على الإطناب لكنه يأتي في مواقف الإيجاز الحاسمة ليلفت النظر، مشيرة إلى أن التكرار جاء في ثمانية مواضع في هذه السورة؛ ولعلها قصدت ما يلي:

(زُلْزِلَتِ زِلْزَالَهَا • وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ مرتان • الْإِنْسَانُ النَّاسُ • يَوْمَئِذٍ مرتان • لَهَا مرتان • يَعْمَلْ مرتان • يَرَهُ مرتان).

المرحلة الثالثة: فهم دلالة الألفاظ

نقدر أن اللغة العربية هي لغة القرآن، فنلتمس الدلالة اللغوية الأصيلة التي تعطينا حس العربية للمادة في مختلف استعمالاتها الحسية والمجازية. ثم تلخص للمح الدلالة القرآنية باستقراء كل ما في القرآن الكريم من صيغ اللفظ، وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة، وسياقها العام في القرآن الكريم كله.

[33] انظر: بنت الشاطئ، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ج1، ص79.

نأخذ سورة التكاثر على سبيل المثال: ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ كَلا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**﴾ [التكاثر:1-8].

وهذه السورة تبدأ بهذه الجملة الخبرية القصيرة: ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ**﴾. لكن الإمام الرازي أخرجها من الإخبار إلى الاستفهام بمعنى التوبيخ والتقريع. والخبرية هنا أوقع في الزجر وأبلغ في الوعيد، بما تشهد به على أن الهاء التكاثر إياهم واقع قد كان فعلًا، وليس المقام مقام استفهام، وإنما هو مقام بيان لما وراء هذا التكاثر العقيم الخاسر الذي ألهى القوم وشغلهم عن التفكير في المصير.

واللهو لغةً: ما يلهى الإنسان. ولعل أصل استعماله في اللهوة وهي ما يلقيه الطاحن في فم الرحى بيده ويشغلها به فلا تدور على هواء. ولا يترادف اللهو والمشغلة في القرآن الكريم، بل يأتي الشغل بالمجدى وغير المجدى. أما اللهو فلا يكون إلا بغير المجدى، وهو ما التفت إليه الإمام الراغب حين فسر الإلهاء في سورة التكاثر بالاشتغال عما هو أهم[34]. وعند الإمام الرازي أنه الانصراف إلى ما يدعو إليه الهوى[35]. وقال أبو هلال العسكري: اللهو لعب، واللعب قد يكون ليس بلهو. وصنيع القرآن يؤذن بأن اللهو أيضًا قد يكون ليس بلعب[36]. التفتت بنت الشاطئ إلى نوع الصيغ الواردة في السورة وبيان دلالتها وتناسبها مع السياق، ثم رجعت إلى المعاجم لتبين لنا معنى اللهو، وكيف تم استخدامه من قبل المفسرين كالإمام الرازي مثلًا، والراغب الأصفهاني وأبو هلال العسكري.

[34] أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، (بيروت: دار المعرفة، ط6، 2010م)، ص458.

[35] فخر الدين الرازي، **مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ/2000م) ج32، ص72.

[36] أبو هلال العسكري، **الفروق اللغوية**، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: جمال عبد الغني مدغمش، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1422هـ/2002م)، ص451.

المرحلة الرابعة: فهم أسرار التعبير

تحتكم بنت الشاطئ إلى سياق النص في الكتاب المحكم ملتزمة ما يحتمله نصًا وروحًا. وتعرض عليه أقوال المفسرين فتقبل منها ما يقبله النص، وتتحاشي ما أقحم على كتب التفسير من مدسوس الإسرائيليات وشوائب الأهواء المذهبية، وبدع التأويل. كما تحتكم إلى الكتاب العربي المبين المحكم في التوجيه الإعرابي والأسرار البيانية، وتعرض عليه قواعد النحويين والبلاغيين ولا يعرض عليها، ولا تأخذ فيه بتأويل لعلماء السلف على صريح نصه وسياقه، لتسوية قواعد الصنعة النحوية وضوابط علوم البلاغة، إذ القرآن الكريم هو الذروة العليا في نقاء أصالته وإعجاز بيانه، هو النص الموثق الذي لم تشبه من أي سبيل أدنى شائبة مما تعرضت له رواية نصوص الفصحى من تحريف أو وضع، ثم إنه ليس بوضع ضرورة كالشواهد الشعرية، ليجوز عليه ما يجوز عليها من تأويل[37].

نأخذ سورة البلد على سبيل المثال: ﴿**لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ • وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ • وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ • لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ • أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ • يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالا لُبَدًا • أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ • أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ • وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ • وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ • فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ • وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ • فَكُّ رَقَبَةٍ • أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ • يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ • أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ • ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ • أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ • وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ • عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ**﴾ [البلد:1-20].

ومن خلال دراستنا لعرضها لتفسير سورة البلد. أدركت في أول كلامها عن قوله ﷻ: لا أقسم بهذا البلد، أن هناك فارقًا كبيرًا بين كلمتي: القسم والحلف. وذلك أن كثيرًا من الناس يظن أنه لا فارق بين اللفظين فهما بمعنى واحد. لكن هذه الباحثة الكبيرة بما لها من معرفة دقيقة بفقه اللغة تدرك بحسها اللغوي أن هناك فارقاً خفياً بين اللفظين.

[37] انظر: بنت الشاطئ، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ج1، ص10.

وفي لفظ أقسم هنا ملحظ ذو بال. فقد يبدو من السهل هنا أن نفسر أقسم بلفظ أحلف، وليس في استعمال العرب لهما ما يمنع من تفسير أحدهما بالآخر، قال بلغة يقول في اعتذاره للنعمان[38]: حلفت فلم أترك لنفسك ريبة. وقال الأعشى: حلفت برب الراقصات إلى منى. وقال شاس بن عبدة، أخو علقمة الفحل: حلفت بما ضم الحجيج إلى منى. وفي القاموس: حلف أى أقسم[39].

لكن استقراء الكلمتين في القرآن الكريم يمنع هذا الترادف: فلقد جاءت مادة حلف في القرآن الكريم في ثلاثة عشر موضعًا، كلها بغير استثناء، في مقام الحنث باليمين. منها ست آيات في المنافقين الذين فضحتهم سورة التوبة بعد غزوة تبوك: ﴿**لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾ [التوبة:42]. ﴿**وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ**﴾ [التوبة:56]. ﴿**يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ**﴾ [التوبة:74]. ﴿**يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**﴾ [التوبة:96]. ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾ [التوبة:107]. ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [المجادلة:14]. ﴿**يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ**﴾ [المجادلة:18]. ﴿**وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ. هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ. مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ**﴾ [القلم:10-12]. ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزلَ اللَّهُ**

[38] المصدر نفسه، ص166.

[39] انظر: محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط1، 1412هـ/1992م)، ج9، ص53؛ وجوهري، **الصحاح في اللغة**، (بيروت: دار صادر، ط1، 1412هـ/1992م)، ج1، ص143.

وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا.فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء:61-62].

وجاء الفعل مرة واحدة مسندًا إلى الذين آمنوا، فلزمتهم كفارة الحنث باليمين. **﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** [المائدة:89].

أما القسم فيغلب مجيئه في الأيمان الصادقة. وجاء المصدر منه موصوفًا بالعظمة في آية الواقعة: وإنه لقسم لو تعلمون عظيم. ويجئ الفعل في الشهادة ومثلها، حيث لا يحل الحنث باليمين، كالشهادة على الوصية: وحين يسند القسم في القرآن الكريم إلى المجرمين فإنهم في ظنهم غير حانثين: ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة. وكذلك حين يقسم الكفار بالله جهد أيمانهم، عن اقتناع بصدق ما يقسمون عليه ولو كان في حقيقته كذبًا. وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها. ومعها آيات: الأعراف:49، إبراهيم:44، المائدة:53، النحل:38، النور:53، فاطر:42.

وأما هذا الاستعمال القرآني، فإنه يشير إلى أنه لا يجوز أن نفسر القسم بالحلف، وصنيع القرآن فيهما يلفت إلى فرق دقيق بين اللفظين المقول بترادفهما، فرق يؤيده فقه العربية، فاختلاف مادتي اللفظين يؤذن باختلاف مدلول كل منهما، وبين حلف وحنث من القرب، ما ليس بين حلف وقسم، مما يبعد أن يكونا سواء[40]. فالقسم يكون دائمًا عظيمًا لفعل شيء مقدس أما الحلف يكون في الأشياء الدنيوية العظيمة وغير العظيمة فتراها في هذا الموقع تنفي الترادف بين المصطلحات القرآنية وتبين من خلال دراستها أن هناك فروقات يظهرها السياق بين المفردات.

دراسة تحليلية لمنهج بنت الشاطئ في التفسير البياني

1- تحليل المنهج البياني في التفسير

[40] انظر: بنت الشاطئ، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ص168.

التفسير البياني على وفق ما ذهبت إليه بنت الشاطئ، منهج في التفسير تعلمته من أستاذها أمين الخولي[41]. ومهمة المنهج، "أن يبين لنا كيفية إعمال العقل بطريقة منظمة نستخدم أفعال لاكتشاف الحقيقة، ولكى لا نقع في الخطأ عند استعمالنا لهذه الأفعال"[42]. فالمنهج، "سلسلة من العمليات المبرمجة التي تهدف إلى الحصول على نتيجة، مطابقة لمقتضيات النظرية"[43]. فهو، بناء على ما سبق نوع من التنظيم العضوي الذي يسهم فيه كل جزء من أجزائه في تشكيل معالمه وملامحه، بما يسمح لنا نحن مطبقي المنهج أو مكتشفيه في تلمس الكيفية التي مارس فيها عقل صاحب المنهج اكتشاف الحقيقة. أي الكيفية التي استطاع فيها صاحب المنهج، مطابقة النص أو النظرية؛ والنظرية هي المتن العلمي الذي يطبق عليه المنهج، ولهذا المتن عناصر ومكونات كما للمنهج عناصر ومكونات، مع فارق أن الشرط أو المعيار في عناصر المنهج هو أن تكون منسجمة مع عناصر النص ومطابقة لمقتضياته ومقاصده فإذا عرفنا أن أكثر ما يهتم به أصحاب هذا المنهج الذي تتحدث عنه بنت الشاطئ، المسائل الآتية[44]:

1. الجوانب النحوية والصرفية لألفاظ القرآن وعباراته.
2. فصاحة القرآن، ولطائفه البلاغية.
3. الإعجاز الأدبي والبلاغي للقرآن.
4. العناية باللغة العربية والمشكلة في القرآن.
5. العناية بجذور الكلمات وتتبع أصولها.
6. الاهتمام بالقراءات، وتأثيرها في المعنى.
7. الإفادة من أشعار العرب القدماء، في الكشف عن المعنى.

---

[41] المصدر نفسه، ص10.

[42] طاهر عزيز، **المناهج الفلسفية**، (المركز الثقافي العربي: الدار البيضاء، ط1، 1990م)، ص45.

[43] سعيد علوش، **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**، (بيروت: الدار الكتاب اللبناني، ط2، 1985م)، ص223.

[44] محمد على رضائي الأصفهاني، **دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن**، (د.م: منشورات المركز العالمي للدراسات الإسلامية، ط1، د.ت)، ص287.

8. العناية بمباحث الوجوه والنظائر، والحقيقة والمجاز.

إذا عرفنا ما سبق خلصنا إلى أن مكونات المنهج البياني في التفسير هي مكونات أدبية، أصلًا، وأساسًا، وتوضح لنا بنت الشاطئ كيفية إجرائها منهجيًا، من خلال عرض ضوابط المنهج البياني الذي تعلمته من الأستاذ أمين الخولي، ويتمثل فيه[45]:

1. جمع كل مافي الكتاب المحكم من سور وآيات في الموضوع المدروس.
2. ترتيب الآيات على وفق نزولها لمعرفة ظروف المكان والزمان. والاستئناس بالمرويات في أسباب النزول من حيث هي قرائن لابست نزول الآية.
3. تلمس الدلالة اللغوية الأصلية، ثم لمح الدلالة القرآنية باستقراء كل ما في القرآن من صيغ اللفظ، والأخذ بسياقها العام في القرآن كله.
4. الاحتكام إلى سياق النص، بعيدًا عن أقوال المفسرين، ثم ضبط أقوال المفسرين من خلال عرضها على النص. كذلك ضبط أقوال النحويين والبلاغيين بعرضها على النص نفسه.

والواضح مما سبق أن المكونات السابقة جميعًا، مكونات فنية وأدبية إبداعية تعني بالتعبير القرآني وخصوصيته وأساليبه فإذا عرفنا أن المكون الأدبي هو "جزء يساهم في الكل، من هنا كان إطلاق مكونات الخطاب ومكونات السرد ومكونات الأنواع"[46]. من كل ما سبق إلى أن المكونات الأدبية لمنهج بنت الشاطئ هي مكونات مادية وتعبيرية تجعل من النص موضوعًا حسيًا يتصف بالتماسك والانسجام[47]. ولكن فضلًا عما سبق، ثمة مدلول باطني للنص الأدبي أو الفني، أي أن الموضوع تشكل من عنصري المادة والتعبير، وهما قوام النص الأدبي، ولكن هذا الموضوع لا يحضر بذاته، بل من خلال التعبير الأدبي الذي ينقل الموضوع من طبيعة فاعلة مثيرة للانفعال ومحفزة للإدراك العاطفي، بهجةً وأملًا، أو حزنًا وخوفًا، ورغبةً ونفورًا.

---

[45] انظر: بنت الشاطئ، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ج1، ص10.

[46] سعيد علوش، **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**، ص193.

[47] زكريا إبراهيم، **مشكلة الفن**، (مصر: مكتبة دار المرتضى، د.ط، د.ت)، ص27.

ولا شك في أن هذا البعد من أبعاد الواقع لا ينكشف إلا للحاسة الوجدانية لمن يباشر ذلك الموضوع[48]، والذي يباشر الموضوع ها هنا، في قضية التفسير البياني للقرآن الكريم، عند بنت الشاطئ هي المفسرة، ولكي تتحقق تلك المباشرة بشكل منهجي يحقق انسجامًا مع موضوع النص، تقرر بنت الشاطئ مكوِّنًا الآخر من مكونات التفسير البياني، ألا وهو المكون الموضوعي، فتقول: "والأصل في منهج هذا التفسير كما تلقيته من أستاذي – هو التناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه، فيجمع كل ما في القرآن الكريم منه، ويهتدي بمألوف استعماله للألفاظ والأساليب، بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذلك. وهو منهج يختلف والطريقة المعروفة في تفسير القرآن الكريم سورة سورة، يؤخذ اللفظ أو الآية فيه، مقتطعًا من سياقه العام في القرآن كله، مما لا سبيل معه إلى الاهتداء إلى الدلالة القرآنية لألفاظه، أو لمح ظواهره الأسلوبية وخصائصه البيانية"[49].

ويبدو مما سبق، أن معرفة الموضوع تشكل شرطًا رئيسًا من شرائط معرفة الخصائص الأدبية للنص، لكن، بملاحظة أن تكون تلك المعرفة بالموضوع معرفة منهجية، تعمل على جمع كل ما يتعلق بالموضوع الواحد في القرآن الكريم كله، ثم الاهتداء بمادة ذلك الموضوع: (ألفاظه وعبارته)، والمقارنة بينها بعد جمعها، ثم تحديد أوجه بيانها، ومن ثم الانتقال إلى طرائق تشكيل تلك المادة، أي ما يسميه أصحاب المنهجيات الفنية، (التعبير)، وما تسميه بنت الشاطئ: (الدلالة القرآنية)، و (الظواهر الأسلوبية) أو (الخصائص البيانية).

وها هنا، تبيان لتلك المكونات، لا في النص موئل التفسير وهو القرآن الكريم، بل في قراءة بنت الشاطئ لذلك النص بكل ما لتلك القراءة من سمات الانتظام على وفق النص ومقتضياته، وما يكشف عن ذلك الانتظام من استجابة عاطفية وجمالية لموضوعات النص ومواده وطرائقه في التعبير أو التصرف الفني بتلك المواد.

[48] المصدر نفسه، ص35.

[49] انظر: بنت الشاطئ، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ج1، ص17-18.

2- خصائص المنهج البياني في التفسير

ظهرت لنا خصائص لذلك المنهج البياني، نختار منها ما يلي:

1. أنه يدرس القرآن الكريم حسب الموضوعات وليس حسب تسلسل السور في القرآن الكريم.
2. أنه يهدف إلى التدبير النفسي والاجتماعي في القرآن الكريم للحياة الإنسانية، ويرى أن هذا هو المجال الخاص للقرآن الكريم وهو السبيل المفردة لتحقيق أهداف الرسالة الإسلامية.
3. أنه يعمد إلى معاني الآيات التي تؤديها ألفاظ العربية كما كان يفهمها أهل العربية في حال نزول القرآن الكريم[50].

3- ملاحظات على منهج بنت الشاطئ:

بنت الشاطئ تبقى إنسانة من البشر تخطيء وتصيب، وقد اكتشفنا بعض الملاحظات لمنهجها، ومن ذلك:

1. أنها تتيه بما وصلت إليه من معنى للكلمة القرآنية تفوق به على ما قال به المفسرون.
2. أنها تقلل بصيغ شتى من شأن المفسرين السابقين وتفاسيرهم وتسوق عباراتها أحيانًا بما يشبه بأسلوب السخرية بل لم أجد كلمة "المفسرين" في كتابها إلا وسياقها كذلك وهو أمر خطير.
3. جزمها بصحة ما توصلت إليه وتعين القول به ورفض ما سواه.
4. اعتدادها بنفسها إلى درجة أنها تذكر أقوالهم مقابل قولها فتقول مثلًا: "لا نستطيع أن نطمئن إلى تفسير النازعات بما اطمأن إليه أكثر المفسرين"[51].

نتائج البحث

1. إن المنهج الذي أخرجته بنت الشاطئ، يستند إلى دعائم أدبية تعمل على قراءة النص قراءة جمالية، ثم الوقوف عند ما تولده تلك القراءة من معان ذهنية، وانطباعات وجدانية في ذات المفسر؛ كما أنها

[50] فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط3، 1418هـ/1998م)، ج3، ص903.

[51] المصدر نفسه، ص951.

تعتمد العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، واستقراء اللفظ القرآني في كل مواضع وروده، والاهتمام بدلالة السياق، والقرآن الكريم هو القاعدة، وترك الإطناب عما أبهم في القرآن الكريم، ورفض التفسير العلمي التجريبي، والتفسير الموضوعي.

2. إن المكونات الأدبية من المكونات الرئيسة للمنهج البياني في التفسير، ولها بعدين رئيسين، هما: التعبير الأدبي للنص القرآني والموضوع القرآني الذي شكل النص تشكيلًا أدبيًا.
3. ومن ناحية عناية التفسير البياني بما يشكل بمجمله سمة النص وعلامته، يعني منهج ذلك التفسير، بالمكونات النصية ممثلة بأعراف النص ومظاهره الأسلوبية وأنواعه الموضوعية، وبالمكونات غير النصية، ممثلة بالسياق الخارجي للنص، وأسباب نزوله، ومناخه الاجتماعي والثقافي.
4. إن اعتماد المنهج البياني على جمع كل ما ورد في القرآن الكريم، مما يتعلق بالوحدة الدلالية موضوع التفسير، يعني مقاربة مع ما يسميه أصحاب التفسير المعاصرون، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ومن جانب آخر يسميه أصحاب الدرس النقدي الحديث، الوحدة الموضوعية.
5. إن عناية المنهج البياني في التفسير، بالعلائق الشكلية والتركيبية، القائمة بين الآية موضوع التفسير، وبقية الآيات، تعني، من وجهة نظر الدرس النقدي الحديث، العناية بالوحدة العضوية للنص.

الاقتراحات

1. إعطاء المرأة دورًا أكبر في مجال البحث العلمي في مجال الفقه، والتفسير، وعلوم الحديث.
2. أن العربية بحاجة ماسة إلى من يحسن فهمها ومعايشتها لمحاولة فهم القرآن الكريم فهمًا دقيقًا.
3. أن الألفاظ القرآنية دلالاتها لم تبح بكل أسرارها وهي تنادي على أهل الإسلام أن يحاولوا تلمس بعض هذه الأسرار.
4. إن بنت الشاطئ قد وضعت اللبنة الأولى فقط لهذا النوع من التفسير ونحن بحاجة إلى تطبيق هذا المنهج الطيب في تفسير القرآن الكريم كاملًا.

References

‘Abduh, Muḥammad. *Tafsīr Juz ‘Amma,* 3rd Ed. Egypt: Shirkah Hamzah Miṣriyyah, 1341.

‘Aluwwush, Sa’īd. *Mu’jam Al-Muṣṭalaḥāt Al-Adabiyyah Al-Mu’āṣirah,* 2nd ed. Beirut: Al-Dār Al-Kitāb Al-Lubnānī, 1985.

‘Azīz, Ṭāhir. *Al-Manāhij Al-Falsafiyyah,* 1st ed. N. C: Al-Markaz Al-Thaqafī Al-‘Arabī Al-Dār Al-Bayḍā`, 1990.

Al-‘Askarī, Abū Hilāl. *Al-Furūq Al-Lughawiyyah,* Taḥqīq: Jamāl ‘Abd Al-Ghanī Modghamash, 1st Ed. Beirut: Mu`assasah Al-Risālah, 2002.

Al-Amīn, Iḥsān. *Manhaj Al-Naqd Fī Al-Tafsīr,* 1st Ed. Beirut: Dār Al-Hādī, 2007.

Al-Andalusī, Abū Ḥayyān. *Al-Baḥr Al-Muḥīṭ,* Dirāsah Taḥqīq wa Ta’līq: ‘Ādil Aḥmad ‘Abd Al-Mawjūd wa ‘Alī Muḥammad Mu’awwaḍ, 1st ed. Beirut: Dār Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1993.

Al-Aṣfahānī, Muḥammad ‘Alī Riḍā`ī. *Durūs Fī Al-Manāhij Wa Al-Ittijāhāt Al-Tafsīriyyah Li Al-Qur’ān,* 1st Ed. N. C. Manshūrāt Al-Markaz Al-‘Ālamī Li Al-Dirāsāt Al-Islāmiyyah. N. D.

Al-Bayūmī, Muḥammad Rajab. *Khaṭawāt Al-Tafsīr Al-Bayānī Lī Al-Qur’ān Al-Karīm,* N. Ed. Egypt: Majma’ Al-Buḥūth Al-Islāmiyyah, 1971.

Al-Rāghib Al-Aṣfahānī, Abū Al-Qāsim Al-Husayn Bin Muḥammad. *Mufradāt Fī Gharīb Al-Qur’ān,* 6th ed. Beirut: Dār Al-Ma’rifah, 2010.

Al-Rāzī, Fakhr Al-Dīn. *Mafātīḥ Al-Ghayb,* 1st ed. Beirut: Dār Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 2000.

Al-Rūmī, Fahd Bin ‘Abd Al-Raḥmān Bin Sulaymān. *Ittijāhāt Al-Tafsīr Fī Al-Qarn Al-Rābī’ ‘Ashr,* 3rd ed. Beirut: Mu`assasah Al-Risālah, 1998.

Al-Sharqāwī, ‘Affat Muḥammad. *Ittijāhāt Al-Tafsīr Fī Misr Fī Al-‘Aṣr Al-Ḥadīth,* N. Ed. N. C: Jāmi’ah ‘Ain Shams, 1972.

Al-Shāṭi`, Bint. *Al-Tafsīr Al-Bayānī Li Al-Qur`ān Al-Karīm,*7th ed. Cairo: Dār Al-Ma’ārif, 1962.

Al-Shāṭi`, Bint. *Al-Tafsīr Al-Bayānī Li Al-Qurʿān Al-Karīm*, 7th ed. Cairo: Dār Al-Ma’ārif, 1971.

Al-Ṭāhir, ‘Alī Jawwād. *Muqaddimah Fii Al-Naqd Al-Adabī,* 1st Ed. Beirut: Al-Mu`assasah Al-‘Arabiyyah Li Al-Dirāsāt Wa Al-Nashr, 1979.

Hossam Moussa Mohamed Shousha, The Role of the Heart in the Thinking Process: An Analytical Study), Journal of Islam in Asia, Vol 15 No 3 (2018) Special Issue: Integration of Islamic Revealed Knowledge into Humanities and Social Sciences.

Ibrahim, Zakaria. *Mushkiah Al-Fann*, N. Ed. Egypt: Maktabah Dār Al-Murtaḍā. N. D. Majma' Al-Lughah Al-'Arabiyyah. *Al-Mu'jam Al-Wasīṭ,* Takhrīj: Ibrāhīm Musṭafā wa Ākharūn, N. Ed. Istanbul: Dār Al-Da'wah, 1989.

Sharīf, Muḥammad Ibrāhīm. *Ittijāhāt Al-Tajdīd Fī Tafsīr Al-Qur`ān Al-Karīm,* 1st Ed. Cairo: Dār Al-Turāth, 1402.

Website:

http://ar.wikipedia.org/wiki/عائشة_عبد_الرحمن
http://islamstory.com/ar/عائشة_عبد_الرحمن_بنت_الشاطئ
http://shamela.ws/index.php/author/1179
http://www.angelfire.com/ok3/nesa/shati
http://www.syrianstory.com/b.alchty.htm# عائشة عبد الرحمن